# هل للحوار المذهبي الإسلامي أثر في تحقيق التعايش السلمي؟

**يونس أوراغ***

*باحث مغربي
( younesaouragh28@gmail.com)

ملخص :

**تحاول الورقة الكشف عن فاعلية الحوار المذهبي الإسلامي، و أثره في تحقيق التعايش السلمي بين أطياف المجتمع. و لما كانت الحساسية المذهبية/الإسلامية ؛ واقعا متجسدا، مُؤداه التخندق الأيديولوجي، و الطائفي، صار لزاما كشف أثر حوار المذاهب الإسلامية؛ و دوره في تأمين التعايش على أرضية معيارية و هي المواطنة.**

**لقد أسس الإنتماء المذهبي الإسلامي، ما أسماه أحد الباحثين المحدثين بالسلطة المذهبية(1)، و التي تحولت من مجرد الإنتماء الفكري، أو العقدي، أو الفقهي ... إلى تحديد هوياتي لمجموع المنتمين/ الخاضعين. فنشأت بذلك العديد من مظاهر الإفتراق و الإختصام، و كذا الخلاف، و لعل الطائفية المذهبية كانت أخطر تعبيراته.**

**ولبيان استشكالات الدراسة، كالآتي: ما المقصود بالحوار المذهبي الإسلامي؟ و ما هي أهم شروطه و مبادئه، و أساليبه المعتمدة؟ و ما هو أثر هذا الحوار المذهبي «المنشود» في تحقيق التعايش السلمي؟**

**كلمات مفتاحية :** حوار – مذاهب – تعايش – تعايش سلمي

(1) أشير لوائل حلاق، و دراسته التي أصلت لماهية السلطة المذهبية، و التي تحمل نفس الإسم

## Does Islamic Sectarian Dialogue have an Impact on Achieving Peaceful Coexistence?

Younes Oragh, Moroccan researcher

**ABSTRACT:**

This research endeavors to assess the efficacy of Islamic sectarian discourse and its profound influence on fostering a state of peaceful coexistence within segments of society. Given the palpable existence of sectarian and

Islamic sensivities, which inevitably give rise to ideological and sectarian divisions, it becomes imperative to delve into the intricate dynamics of Islamic sectarian dialogue and its pivotal role in cultivating coexistence grounded in the principle of citizenship.

This affiliations forged within Islamic sectarianism have established what one of the contemporary scholars aptly describes as sectarian authority, transcending from intellectual, doctrinal, or juristic connections to profoundly shaping the collective identities of its adherents and followers. Consequently, this has engendered various forms of division and conflict, with sectarianism emerging as the most perilous manifestation of this schism.

This scholarly investigation endeavors to tackle several vital inquiries :what precisely does Islamic sectarian dialogue encompass? What are the essential prerequisites, principles, and methodologies that underpin this discourse? Moreover, it seeks to unravel the desired outcomes of such dialogue in terms of achieving a state of peaceful coexistence.

**KEYWORDS:** Dialogue - Doctrines - Coexistence - Peaceful Coexistence.

**مقدمة:**

لقد أنتج التراث الإسلامي فسيفساء فكرية خصبة، أسماها «أحمد أمين» بـ «الحركات العلمية»، وذلك منذ البدايات الأولى للإشتغال العلمي الإسلامي، أي منذ القرون الأولى. ونتيجة غزارة هذا الإنتاج الفكري، والعلمي الإسلامي، فقد حدده أمين في «ثلاثة اتجاهات: حركة دينية، ونعني بها البحث في الشؤون الدينية، من تفسير القرءان وحديث وتشريع وما إلى ذلك، وحركة في التاريخ والقصص والسير ونحوها، وحركة فلسفية من منطق وكيمياء وطب وما إليها»[1]، يهمنا منها الإتجاه الأول والذي عُني بالشأن الديني من تفسير،

(1) أمين، أحمد، فجر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ص: 145 و ما بعدها.

وحديث، وفقه،، وتشريع، وغيره، باعتباره أساس ظهور المذاهب، التي كان لتجاذباتها وصراعاتها، نصيب كبير في التأسيس له.

وفي سياق التَكَون/التكوين هذا، و مع مضي ردح من الزمن؛ أي لما دخلنا للعصر العباسي، في بداية القرن الثاني الهجري، سيُعمد إلى محاولات حثيثة لتقعيد و معْيَرَةِ هذه الإتجاهات العلمية الكبرى، و خاصة الأول منها، واعتبارها علوما قائمة؛ تسمية ومضمونا واشتغالا، كعلم التفسير وعلم الفقه، وعلم الحديث، وغيرها، والتي كما أنتجت لنا معرفة مُؤَطَرة بقواعد علمية؛ فقد رافقها كذلك ظهور نزعة انتماء هوياتي أيديولوجي، لا تعير بالاً للمسائل العلمية في كثير من الأحيان، والتي كانت المذاهب شكلها الأبرز؛ العقدي منها والفقهي...

وقد أدت هذه الإستقطابات المذهبية؛ الأيديولوجية إلى خلق صراع مذاهبي، غَيَب الحوار و نبذه، وكان مدخلا أساسا لزرع الفُرْقة والإقصاء، بل وصل الحال لحد العنف، والصراع المادي في أحايين كثيرة. وزاد الأمر وضوحا، وخطورة، لما اقترنت المذاهب بالسلطة السياسية، وأصبحنا نرى دولا تتبنى مذاهب معينة، ولحكام مذاهب خاصة بهم، بعينها، ينصرون أهلها، ويعلون منها، ويحطون من المذاهب الأخرى وأهلها، ويعادونها، ومعتنقيها.

وفي هذا الجو من الإستقطاب؛ والإستعداء المذهبي الكبير-الذي مازال موجودا وباديا حتى في زمننا هذا- يمارس التفسيق، والتبديع، و الإخراج من الملَّة بالتكفير، أضحت الحاجة للبديل حتمية، و ضرورة، تحقيقا لمقصد ديني سام و هو دعوة الله لحفظ النفس و الدين.

و من نافلة القول، التنبيه لأهمية التعايش؛ والعيش المشترك بين مكونات الإجتماع الإنساني، كحالة تجسيد تام لمعنى الإنسان، و لمعاني الحضارة و التحضر، و لما كان لكل انغلاق أيديولوجي، سواء كان دينيا أو عرقيا أو غيرهما، أثر سلبي، بل و هادم لكل إمكانية تفاهم و تعايش، فقد اكتسب هذا السؤال الإستشكالي؛ مناط بحثنا هذا، أهمية كبرى، باعتباره محاولة لتبين فاعلية الحوار المذهبي الإسلامي في تحقيق هذا التعايش، و بلوغ مراميه و مقاصده.

و إذ نبغي في هذه الورقة، استكشاف إمكانية التأثير هاته، و إمكانية تحققها كذلك، بين حوار المذاهب الإسلامية -في حالة وجوده- و العيش المشترك على أساس السلم، فإن مرادنا كذلك التعرف بداية على معنى هذا الحوار بين المذاهب في البيئة الثقافية

الإسلامية، و أهم المبادئ التي يتأسس عليها، و كذا شروطه التي يتصف؛ و ينضبط لها، مع تبيان لأساليبه و قنواته التي يتم بها هذا الفعل التحاوري؛ و يتخذها قنوات له. مع ختم الورقة بالوقوف على بعض آثار هذا الحوار من خلال استحضار لمحاولات رزينة رامت التأسيس لما عرف بالتقريب بين المذاهب، و إمكانية لعبها دورا في بناء مجتمع السلم و التعايش المنشود.

**أولا- معنى الحوار المذهبي الإسلامي:**

1- الحوار في اللغة و الإصطلاح:

تتنوع معاني المادة التي جذرها (ح و ر)، و انطلاقا من بعض عُمَد كتب اللغة العربية، و انسجاما مع موضوع ورقتنا، فيمكن أن نختصر معاني الكلمة و دلالاتها في:

- معنى الرجوع، فالحور: الرجوع عن الشيء، و إلى الشيء.
- معنى المراجعة في الكلام و الجواب و الرد، فيقال: يتحاورون؛ أي يتراجعون الكلام. و يقال: لم يَحِر جوابا، أي لم يَرُد. و الحوار اسم من المحاورة، و المحاورة: المجاوبة. و التحاور: التجاوب. و المحاورة مراجعة المنطق و الكلام في المخاطبة.
- معنى التغير، و الإنقلاب من حال إلى حال.
- معنى المحور: الحديدة التي تدور عليها البكرة.
- معنى الأحور: العقل، يقال: ما يعيش فلان بأحور أي ما يعيش بعقل يرجع إليه.
- معنى الحور: أن يشتد بياض العين و سوادها، فلا تشوبها شائبة.[2]

ما نأخذه من تعريفات مادة حور، و ما يتسق مع موضوع اشتغالنا، و خاصة مفردة حوار، أنها تعني الأمر الذي لا تشوبه شائبة.

أما اصطلاحا، فقد أُفرِد لمفردة الحوار العديد من التعاريف، و التي تنسجم مع ما نبغيه في دراستنا، فهناك من اعتبر الحوار مراجعةً للكلام، و تداولا له سواء مع الذات، أو مع الآخر، و يكون المراد و المبتغى منه «الوصول إلى الحقيقة و تحليلها»[3]، و هناك من

(2) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير- محمد أحمد حسب الله- هاشم محمد الشاذلي،دار المعارف، القاهرة، طبعة جديدة محققة و مشكولة شكلا كاملا و مذيلة بفهارس مفصلة، المجلد الثاني، ص 1042-1045.

(3) المغامسي، خالد، الحوار: آدابه و تطبيقاته في التربية الإسلامية، السعودية: مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، 2007، ص 21.

أدخله في خانة العملية التواصلية؛ لكونه مبادلة «الأفكار و الحقائق و المعلومات و الخبرات»[4]، في إطار البعد الوظيفي للتواصل، مع التنبيه على ضرورة الإبتعاد عن التقييمات القبلية و الجاهزة، و التي تؤدي رأسا للتعصب، و إلغاء العملية التفاعلية التواصلية برمتها. و ذهب الفيليسوف المغربي طه عبد الر حمن، إلى تحديد منهجي لمراتب الحالة التواصلية/التفاعلية للحوار، فاعتبره «ينتهي إلى إخلاء آثار المعروض عليه من النص يتلوه انسلاخ العارض نفسه منه توفية لحق شروط البرهان»[5]، فيحدث أن يعجز الحوار بمنهج البرهان، عن إيفاء الغرض من عرض دلائل الأطـراف، ليطرح المحاورة، كمتمم لقصور الحوار من حيث قيامها ب»إشراك الغير المُعترِض في إنشاء النص و في توسيع آفاقه الإستدلالية بإحلال الحجاج محل البرهان»[6]. ثم تأتي مرتبة الحوارية، أو الحالة الحوارية تحديدا، لكونها تنبني على التفاعل الحواري، الذي « لا يتحقق إلا بأن تتساوى عند المتحاور حقوق نفسه مع حقوق غيره في تكوين النص»[7]، هذا النص التفاعلي، التبادلي التوليدي.[8]

و الملاحظ أن هذا النوع من المفاهيم، يجد الباحث صعوبة في قرنه بمرادف ما، أو قصره على معنى محدد، كما يصعب تبني الشمولية في فهمه أو ادعائه حتى، إذ هناك من المشتغلين كذلك من لخص الحوار في غاياته و مراميه، أو حتى في أساليبه، و وسائله، و حتى في آدابه و مُحَسناته، و غيرها من الإعتبارات الأخرى.

لنستخلص نتيجة، و هي أن الحوار ينبني أساسا على تجاوز السجال، و رفض ادعاء امتلاك الحقيقة الواحدة، أو صبغها بإطلاقية دوغمائية. و يفتح الحوار المجال رحبا، واسعا، لدخول العقل و إعماله، في التنقية من الشوائب، و التي تمثل عوائق أساسية؛ تعيق جهود التثبت من الأقوال و الطروحات و الآراء.

2- المذهب في اللغة و الإصطلاح:

تأتي مادة ( ذ هـ ب) عند صاحب لسان العرب، بمعنى رأى في المسألة ذلك الرأي. و قد تأتي بمعنى الترجيح أيضا. و يأتي لفظ

(4) الحسن، يوسف، الحوار الإسلامي المسيحي: الفرص و التحديات، أبوظبي: المجتمع الثقافي، ط:1، ص 13.

(5) طه، عبد الرحمن، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000، ص56.

(6) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(7) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(8) راجع مراتب الحوارية عند طه عبد الرحمن، نفس المرجع، ص 57.

مذهب، بمعنى الطريقة و الأصل، و كذلك المعتَقَد[9].

و اصطلاحا، لا يبتعد معنى المذهب عما رأيناه في المعنى اللغوي، باعتباره الرأي الغالب بين مجموعة من الآراء، أو الطريق الأقوم و الأسلم، و الذي وجب اتباعه؛ عن غيره من الطرق. كما يمكن أن يأتي المذهب بمعنى الأصل، كالقول بتوجه فكري، أو عقدي، أو فقهي، و أخذه على أنه الأصل و المنبع الصحيح. و اختصارا نكتفي بما أُورد في الإصطلاح الشرعي، في قولهم أنه «ماذهب إليه إمام من الأئمة من الأحكام الإجتهادية»[10].

و يمكن القول، إن المذهب يعني تلك الآراء، أكانت عقدية، أو فقهية أصولية، أو فروعا، أو حتى فكرية، و التي تم الركون إليها، و اعتبارها تمثيلا للفهم السليم، و الأقوم، لمسألة، أو لنص أو لموضوع ما. و تتخذ هذه الأفكار شكل المذهب، بعد مرحلة أولى تأسيسية، تقعيدا لها، ثم يبدأ التحديد الضيق للإنتماء الهوياتي لمجموع هذه الأفكار، و التي صُهرت في بوتقة المذهب الرسمي. و بالتالي فالإنتماء للمذهب، يتجاوز تبني منظومة أفكار ما، إنه تحديد هوية الفرد؛ انطلاقا من مصفوفة الأفكار، و الجماعة التي أضحى جزءا منها.

**المذهب يعني تلك الآراء، أكانت عقدية، أو فقهية أصولية، أو فروعا، أو حتى فكرية**

3- عن مفهوم الحوار المذهبي:

يمكن توليد تعريف تركيبي، يقترب من المعنى المراد للحوار المذهبي، و الذي نعتبر فيه أن المقصود منه، هو تلك اللقاءات التواصلية، التي تطرح الآراء العلمية الصحيحة؛ المتداولة بين عدة أطـراف، بغرض البحث و التمحيص العلمي، و العقلي، بعيدا عن الدوغمائية، و ضيق الرؤية الأيديولوجي. كما أنها ركن ركين، في التأسيس لمعنى المواطنة و العيش المشترك، و الذي يحتفي بالإختلاف و يعتبره أساس إقامة المجتمع. و لا يقتصر الأمر في هذه العملية التواصلية/التبادلية/التفاعلية، على القضايا الدينية فقط، بل الإنفتاح على أسئلة المجتمع، و عن فاعلية الدين في المعيش اليومي

(9) ابن منظور، مرجع سابق، مادة: ذهب، المجلد الثالث، ص 1522-1523.

(10) الحطاب، محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربي، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، ضبط و تخريج: زكريا عميرات، بيروت: دار الفكر، ط 3، 1992، ج 1، ص 66.

للناس، و القضايا الكبرى التي تواجه الإنسانية.

**ثانيا- شروط و مبادئ الحوار المذهبي:**

لكل عملية حوارية، ذات مضمون و أفق معرفيين، غايتها الخروج من ضيق السجال الأيديولوجي؛ إلى رحابة التفاعل الفكري الثري، مجموعة من الضوابط، سواء مبادئ و أسس تقوم عليها، أو شروط تكملها و تحقق غايتها و المطلوب منها. و ما دام الحوار المذهبي، يحمل دعوة تأسيسية تواصلية، تستهدف تعريف المنتمين للمذاهب ببضاعتهم أولا، و ببضاعة غيرهم ثانيا، بهدف التقريب و تأسيس المشترك، فهي دعوة تقوم على مبادئ تعد أسسها و شروطها كذلك.

فماهي هذه المبادئ، و هذه الشروط التي لا يمكن تصور عملية حوار في غيابها؟

**إن من السنن التي أوجدها الله في خلقه، سنة الإختلاف و التنوع**

1- مبادئ الحوار المذهبي:

إن من السنن التي أوجدها الله في خلقه، سنة الإختلاف و التنوع، غير أنه تنوع و اختلاف مُؤَداه التكامل و التناغم. و قد يفهم من الحوار رفض الإختلاف، و هو خطأ دارج، إلا أن الحوار هو تثمين و تأكيد له، أي لهذا التنوع و الإختلاف لكونه أساس الوجود المذهبي. و حتى لا يُجعَل من الحوار مطية، يُرفَض بها الإختلاف، فقد تأسس- أي الحوار المذهبي- على مبادئ، هي: الدعوة إلى الله بالحكمة و الموعظة الحسنة – نبذ العنف و التعصب و كراهية الآخر – اعتماد العقل و البرهنة و الإقناع – الدعوة إلى نقط التلاقي و التعايش.

أ- الدعوة إلى الله بالحكمة و الموعظة الحسنة:

و يأتي هذا المبدأ السامي ليجعل من حرية الإختيار، و عدم فرض الرأي و الإكراه عليه، أساس الدعوة الإسلامية و قيمتها المثلى، مصداقا لقوله تعالى: «لاإكراه في الدين» [البقرة: 256]، و قوله تعالى: «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن» [النحل: 125]، و قوله تعالى: «فإن أسلموا فقد اهتدوا و إن تولوا فإنما عليك البلاغ و الله بصير بالعباد» [آل عمران: 20].

فالدعوة المذهبية – و لايجب أن ننسى انتماءها للدعوة الإسلامية – هي دعوة في الأول و الآخر إلى الله، لا لمؤسس تيار أو مذهب بعينه. فنخرج بذلك من ضيق التمذهب، إلى رحابة الدين الإسلامي، دين الله عز و جل.

ب- نبذ العنف و التعصب و كراهية الآخر:

تشكل العوائق النفسية، موانع للحوار، وتظهر في الجنوح إلى التعصب والإنغلاق المذهبي الأيديولوجي، الذي يأتي كنتيجة لنزوع الرأي الوحيد، بل يغدو هذا الإنغلاق كراهية للآخر، لا لشيء؛ سوى لكونه، مختلفا في الرأي، و في القول، داخل نفس المذهب، أو بين المذاهب المختلفة. و لعل من أخطر تجليات هذه العوائق النفسية للحوار المذهبي، اللجوء للعنف بأنواعه، عبر الإغتيال الرمزي و المعنوي، و التشويه و الإنتقاص، أو العنف المادي، ولنا في حوادث الإغتيال التي طالت المُخالِفين في تراثنا الإسلامي، ما يؤكد مبلغ الضرر الذي قد يَنتُج عن غياب التوافق و الحوار.[11]

**تشكل العوائق النفسية، موانع للحوار، وتظهر في الجنوح إلى التعصب والإنغلاق المذهبي الأيديولوجي**

و إذن فالتسامح، و قبول الآخر، و نبذ كل مظاهر الإقصاء و النبذ، مدخل أساس لكل حوار مذهبي إسلامي منشود.

ج- اعتماد العقل و البرهنة و الإقناع:

ربما وجب التذكير أن للعقل مكانة كبرى، بل محورية في الدين الإسلامي، هذا المُكَوِن الذي هو مناط التكليف. و لعل أهمية اعتماد العقل، و تبني أسلوب الحجاج و البرهنة، يكمن في كونه قوام تقبل الرأي الآخر، إذ حالة الحوار تستوجب الرجوع للدليل و الحجة؛ باعتبارها فيصل القول، و يبقى التشبث الدوغمائي بالرأي، المُتَبَنى، و الذي لا محيذ عنه عائقا كبيرا، في ورود ثقافة الحجة و الدليل، و خاصة إعمال العقل و المنطق العلمي.

و لما كان الأمر له هذه الأهمية الفُضلى، و حتى تقوم قائمة للحوار بين مذاهب الإسلام، فإن عقلنته، بإخراجه من شرنقة السجال، هي

(11) راجع في موضوع التحول إلى العنف المادي، و الإغتيال السياسي مراجع، مثل: العلوي، هادي، الإغتيال السياسي في الإسلام، الأعمال الكاملة، دمشق: دار المدى، ط 5: 2008- السعيد، خالد، أشهر الإغتيالات في الإسلام: من زمن الصحابة إلى نهاية العصر العباسي، بيروت: دار الفارابي، ط1: 2012. و غيرها

مهمة مُلِحة، و لعل ما يساعد في ذلك ثورة المناهج العلمية التي نشاهدها، و التي تمكننا من النظر للمسائل الخلافية المذهبية؛ نظرة أخرى يغلب عليها البعد البحثي و الإجراء العلمي، و تبني نوع من الموضوعية، دون الغرق في مستنقع التقريرات الجاهزة.

د- الدعوة إلى نقط التلاقي و التعايش:

يقول الله عز و جل: «قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا و بينكم ألا نعبد إلا الله و لا نشرك به شيئا و لا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون» [آل عمران:64]، يقول الشيخ محمد عبده، شرحا للآية: «المعنى، أننا نحن و إياكم على اعتقاد أن العالَم من صنع إله واحد، و التصرف فيه لإله واحد، و هو خالقه و مدبره، و هو الذي يُعَرِفنا عل ألسنة أنبيائه ما يرضيه من العمل، و ما لا يرضيه، فتعالوا بنا نتفق على إقامة هذه الأصول المتفق عليها، و رفض الشبهات التي تَعْرِض لها»[12]. يحفل القرءان الكريم بعديد الآيات التي تبني الوجود الإنساني بأكمله على نقط التلاقي، و التعايش. و في الآية الكريمة تصريح، لا تشوبه شائبة على وجوب إقامة جسور الحوار، و التلاقي و التعايش، بين كل من تجمعهم كلمة العبودية لله تعالى، باعتبارها السقف المُوَحِد للجماعة الإنسانية.

(12) رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990، ج3، ص 268.

2- شروط الحوار المذهبي الإسلامي:

لكي يؤدي الحوار المذهبي وظيفته، ويصل غايته الفضلى، و هي رأب الصدع، و تقريب الشرخ، الذي جعل من تمترسات أنصار المذاهب في حصون مذاهبهم، دينا يُتَعَبد به من دون دين الله، و قربى له، لا بد من شروط يقوم بها صرح الحوار، و يقوى، و هي: الإيمان القوي بمبادئ الدين و أهدافه – العلم الواسع، و الإحاطة بقضايا الدين و الدنيا – الحرية و الإستقلال في التفكير، بعيدا عن الضغوط المذهبية منها و السياسية... – الرغبة في الوصول إلى الحق و الإعتراف به.

أ- الإيمان القوي بمبادئ الدين و أهدافه:

إن للدين الإسلامي منظومة مبادئ و أهداف، تأسس عليها و بنى صرحه العقدي والتشريعي، و لا يمكن الحياد عن هذه الأصول التي من دونها سيهوى الصرح، و يتداعى البُنيان. و قد أوجدت مبادئ العقيدة، من الإيمان بوحدانية الخالق، و تحريم الشرك، و الإقرار بالنبوة، ... و غيرها، قنواتها لكي تتجسد واقعا في المجتمع الإسلامي، و بين أبنائه، سواء عبر منظومة العقائد، أو الأحكام و التشريعات، الهادفة لبناء الجماعة؛ و رصها، أو القيم و الأخلاق التي تربي و تنشئ الفرد المسلم.

**إن للدين الإسلامي منظومة مبادئ و أهداف، تأسس عليها و بنى صرحه العقدي والتشريعي**

و ضمان حوار سليم، بعيد عن السجال، بين المسلم و أخيه المسلم؛ يمر عبر ديمومة شَدِه لهذه الأصول و المبادئ و الأهداف.

ب- العلم الواسع، و الإحاطة بقضايا الدين و الدنيا:

يعتبر هذا الشرط ذا أهمية، في التأسيس العلمي للحوار، بعيدا عن منطق المناكفات الضيقة الأفق، و التي تصبغ بصباغ السجال العقيم. و لما كانت علوم الدين متفرعة و متنوعة المادة و المباحث، استلزم الأمر، تخصيص البحث فيها، و تحديد قضاياها بدقة، مما يساعد و يسهم في حسم مادة النزاع، أو يكون له أثر في ذلك؛ على أقل تقدير. و البحث الأكاديمي قد يكون له دور بالغ الأهمية، عبر التحديد العلمي لموضوعات الإشتغال، و شكله، سواء في إطار مجموعات عمل توزع الأدوار و المهمات، او عبر مؤسسات بحثية مختصة.

و حيث أن لقضايا الدين ارتباط بقضايا الدنيا، كان لابد من انفتاح هذا الحوار المذهبي الإسلامي، على العلوم الأخرى، باستشارتها و الأخذ برأيها كذلك، خاصة فيما يستجد من انشغالات الناس الحياتية. فأمور و قضايا مثيرة للجدل، في الطب مثلا: كالأجِنَة، و الإجهاض، مثلا، و قضايا الفيزياء و الفلك و نظرياته الكبرى، و ما استجد من سجال الواقع المُعَزز، و غيرها، تتطلب – ضرورة – الرجوع فيها لآراء أهل الإختصاص، بعيدا عن منطق سائد، يجعل

من العالم في أمر من أمور الدين، عالما في أمور الدنيا، و الأدهى أن يدفع المنتسبون إلى تبني رأيه في أمور الدنيا، دون أي رجوع لأهل الإختصاص، ينافح عليه و يدافع، و يتعصب، و لا يعير اهتماما لما عداه من الآراء ذات الوجاهة العلمية.

ج- الحرية و الإستقلال في التفكير، بعيدا عن الضغوط المذهبية منها و السياسية...

لقد أولى الدين الإسلامي أهمية كبيرة للحرية، وخاصة حرية الفكر، عبر تحرير العقل من كل ممارسة للحَجْر، واستقلال الإرادة، و بناء شخصية مستقلة للإنسان المسلم. فهذا سعي القرءان الكريم لإقامة صرح المجتمع، و الفرد المسلمين، ودأبه على البحث في سبيل ذلك؛ عن البرهنة و الإقناع، وعلى إعمال الحجة و الدليل، و على دعوة للتفكر و التأمل؛ بعيدا عن الضغوط. يقول الله عز و جل: «و من يدع مع الله إلها آخر لا برهان له فإنما حسابه عند ربه أنه لا يفلح الكافرون» [المؤمنون: 17]، و قوله: «و من الناس من يجادل في الله بغير علم و لا هدي» [الحج: 8]، و قد أوكل الله تعالى مهمة التعرف على خالق الكون و موجده، للإنسان، و دعاه لاستنهاض عقله، و توجيه فهمه، لكشف الآيات الكونية؛ الدالة على وجوده، كقوله تعالى: «إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون» [النحل: 12]، و قوله: «إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون» [الرعد: 3]، و غيرها من النصوص القاطعة، التي تحث و بصريح العبارة أصحاب العقول، على إعمالها، و بلوغ الحق بها؛ بعيدا عن كل نوع من أنواع الضغط.

**أولى الدين الإسلامي أهمية كبيرة للحرية، وخاصة حرية الفكر، عبر تحرير العقل من كل ممارسة للحَجْر، واستقلال الإرادة**

و لعل من الآفات الخطيرة، ما تقرر من اتباع التقليد، و ذم التفكير؛ و جعله صِنواً للبدعة، و هؤلاء الذين يجهضون كل رغبة في إقامة صرح العقل، يخاطبهم الله تعالى، و يسقط تذرعهم بما وجدوا عليه آباءهم، إذ هو كالذنب في حق عقولهم، فيقول عز من قائل: «وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله و إلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا

عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا و لا يهتدون» [المائدة: 104]. فحوار المسلم مع أخيه المسلم، يتطلب الخروج من شرنقة الضغوط، و الإقرار بوجوب التفكير، و الحوار باستقلال و حرية.

د- الرغبة في الوصول إلى الحق، و الإعتراف به:

لقد حث الإسلام على الإبتعاد عن التعصب للذات، في غير الحق، و جعل من الوصول له، المقصد الأول، و الذي لا يجب أن يخاف فيه صاحبه لومة لائم. و قد جاء الحق في القرءان الكريم، كاسم لله تعالى، و كذلك كطرف نقيض للباطل، فالله هو الحق و الحق هو الله، و إقرار الحق هو إقرار لله، و سبيله تعالى يتم بالذوذ عن الحق. يقول الله تعالى: «جاء الحق و زهق الباطل» [الإسـراء: 81]، و قوله كذلك: «بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق» [الأنبياء: 18]، و قوله أيضا: «و لا تلبسوا الحق بالباطل و تكتموا الحق و أنتم تعلمون» [البقرة: 42]. فحوار المسلم مع أخيه المسلم، يجب أن تكون غايته دفع الباطل، و إقرار الحق، حتى و إن كان لدى المخالف، و الإعتراف به؛ و لأناسه. لأن كتم الحق، هو إلباسه بالباطل، و هو دخول في حزب الشيطان، و بداية مفارقة للحق تعالى.

**قد حث الإسلام على الإبتعاد عن التعصب للذات، في غير الحق، و جعل من الوصول له، المقصد الأول، و الذي لا يجب أن يخاف فيه صاحبه لومة لائم**

**ثالثا: أساليب الحوار المذهبي الإسلامي:**

لكي تتحقق أهداف هذا الحوار المذهبي الإسلامي، ولكي يبلغ مقاصده، و ينتج حالة تواصل و تفاعل بناء، لا بد من قنوات له، يتم بها، و أساليب يتجسد عبرها. ولما كان موضوع الحوار المذهبي مهما، فالقناة و الأسلوب الذي يتم به، أهم في إعطاء الزخم و المعنى الصحيح، و التجسيد الواقعي لمقاصد الحالة الحوارية. فكم من محاولات لاستنهاض الحوار بين المذاهب الإسلامية، فشلت، لأنها لم تعر الإهتمام اللازم لقناة الحوار و طريقته، خاصة في هذا الزمن الذي يعطي للشكل و القناة، دورا أساسا في هيكل العملية التواصلية. و لهذا كان للحالة الحوارية التواصلية بين المذاهب الإسلامية،

قنوات؛ مفيدة في تحقيقها، و هي: حوارات فردية – حوارات جماعية – حوارات عبر التراسل – حوارات في الوسائط التواصلية الجديدة.

1- حوارات فردية:

و هي حوارات تتم بين علماء و متخصصين، من مذاهب متنوعة، و تتدارس بعض القضايا الخلافية، سواء العقدية منها، و التشريعية، و غيرها. كما أنها لا تبقى غارقة في قضايا الدين، بمعزل عن امتداداتها الدنيوية و الحياتية.

و هنا نستحضر شكلا مهما، اتخذته هذه الحوارات بين علماء المسلمين؛ المختلفي المذاهب، و هو المناظرة، و التي تتم عبر احتكام ضروري إلى مرجعية؛ توافقية بين المتحاورين/المتناظرين، حتى تستقيم العملية التواصلية/الحوارية، بعيدا عن شنآن الخصومة. ليس محلنا هنا أن نخوض في تفاصيل التعريفات المتشعبة للمناظرة، و ضوابطها، و حتى آدابها، غير أننا نجد في الإشارة للمعنى الرحب الذي أعطاه طه عبد الرحمن، لمفردة المناظرة، ما يفيدنا. ففي كتابه «في أصول الحوارو تجديد علم الكلام»، جعل المناظرة/الحوار عملية عرض علمي، تُـدْرَس مادتها لإظهار الصواب، و ابتغاء الحقيقة. و هنا نسجل قفزة دلالية مهمة، لمعنى المناظرة/الحوار، إن عقدنا مقارنة بسيطة مع بعض التعريفات السابقة، و التي جعلها بعض أصحابها، مرادفا للجدال، كما حدد ابن خلدون: «و أما الجدال و هو معرفة آداب المناظرة و التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية و غيرهم»[13]، أو جهد طرف لغَلَبَة الطرف الآخر، مما يجعل شغل المتناظرين؛ المتنازعين في هذه الحالة «تصحيح قوله، و إبطال قول الآخر، من أجل الوصول إلى الحقيقة»[14]. و الملاحظ أن طه، أسس لمفارقة المناظرة/الحوار، للمناظرة/الجدال، باعتبار المناظرة في رحابة الحالة الحوارية تتمتع بأفق استدلالي عال، كالبرهان و الحجاج مثلا.

و من أمثلة، هذا النوع من أساليب الحوار المذهبي بين علماء المسلمين، بتنوع مذاهبهم، تلك الحوارات المطولة التي حفلت

(13) ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، دار الفكر للطباعة و النشر، بيرو ت، لبنان، 1428هـ، 2007 م، ص 466.

(14) الشنقيطي، محمد الأمين، آداب البحث و المناظرة، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مكتبة العلم جدة، ص 3.

بها كتب التراث الإسلامي، بين ممثلي المدارس الفكرية الإسلامية المختلفة، و مما نورده هنا على سبيل الذكر و الإستئناس:

- المناظرة الفقهية التي تمت في عهد هارون الرشيد، بين الإمام الشافعي، و محمد بن الحسن، و نجد الرشيد يناظر الشافعي في بعض مسائل علوم القرءان.[15]

- و قد وجدنا الخليفة المهدي العباسي يستقبل العلماء، فيخصص لهم يوما و الأدباء آخر، فيعرضون عليه آخر ما انتهوا إليه و يناقشهم و يحاورهم مبديا رأيه.[16]

- المناظرة الشهيرة بين الأصمعي و الكسائي، في مجلس الرشيد، حول مقتل عثمان.[17]

- مناظرات المعتزلة الكثيرة، و ردود أهل السنة عليهم، في عهد المأمون.[18]

و الملاحظ أن هذا الغنى، و الزخم الحواريين، الذي عرفتهما الحضارة الإسلامية، و الحركة الفكرية الناتجة عنها، الملأى بمقاربات فكرية، دينية، كلامية، و فلسفية، و علمية كذلك، كان لها الأثر البالغ في رفع الوعي، و التأسيس لهامش كبير من حرية الفكر و القول. غير أن المسار انحدر، و أنتج انغلاقا مذهبيا خطيرا، خاصة في القرون الثلاثة الأخيرة. أي نعم رافقتها محاولات لتحريك الماء الراكد في بركة الحوار المذهبي الإسلامي، لكن سرعان ما تحطم على حجرة الدوغمائية و التعصب المذهبي الخطير.

و قد حاول بعض النهضويين[19]، التنبيه إلى خطورة التعصب المذهبي، و أثره على النهضة المنشودة، للمسلمين و لحضارتهم، كما ذهبت لذلك مشاريع فكرية لبعض الأسماء المرموقة[20]، في نقد الفكر الديني، و تفكيكه، و الوقوف على مكامن أزمته، و التعويل على التقريب و الحوار في تجاوز الكثير من المطبات الحضارية للأمة الإسلامية، و أخطرها هذا التطرف و التعصب المذهبي، و التي تعد الطائفية أحد نتائجه.

(15) راجع: قط، مصطفى البشير، مجالس الأدب في قصور الخلفاء العباسيين، دتر اليازوري العلمية للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، 2009، ص350.

(16) راجع: أبو الخشب، علي ابراهيم، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول، المصرية العامة للكتاب، ص 219-220.

(17) راجع: السيوطي، جلال الدين، الأشباه و النظائر في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2،114/3.

(18) راجع: أمين، أحمد، ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبان، ط1، 1425هـ، 2005م، ص 315 و ما بعدها.

(19) نذكر هنا مثلا، فكرة الجامعة الإسلامية، التي تبناها جمال الدين الأفغاني.

(20) نذكر هنا مثلا كتابات: حيدر حب الله، الشيخ محمود شلتوت، الشيخ محمد جواد مغنية و غيرهم

2- حوارات جماعية:

تتم عن طريق المؤتمرات و الندوات و الملتقيات، تحت إشراف و تنظيم حكومات، أو جمعيات، أو منظمات ترعى موضوع الحوار المذهبي، أو ما أضحى يعرف كذلك، بالتقريب بين المذاهب، و في هذا الصدد يمكن ذكر أمثلة، منها:

- تأسيس «دار التقريب بين المذاهب»، سنة 1947 بالقاهرة، بمبادرة من محمد تقي الدين القمي، و ثلة من علماء الأزهر، و التي إضافة لتنظيهما للعديد من الندوات و المؤتمرات، لتبيان معنى التقريب و الحوار المذهبي، فقد خطت خطوة مهمة، لما تم إدماج علماء الأزهر للفتاوى الشيعية في قانون الأحوال الشخصية المصري، و كذلك صدور فتوى الشيخ محمود شلتوت بتدريس الفقه الشيعي ضمن مادة الفقه المقارن.

**إدماج علماء الأزهر للفتاوى الشيعية في قانون الأحوال الشخصية المصري، و كذلك صدور فتوى الشيخ محمود شلتوت بتدريس الفقه الشيعي ضمن مادة الفقه المقارن**

- إصدار مجلة «رسالة الإسلام»، عن المركز ذاته، و دوره في إقامة جسور التلاقي المعرفي بين المذاهب.

- تأسيس المجمع العلمي للتقريب بين المذاهب بطهران، من طرف العلامة الخوئي، سنة 1984.

- إنشاء مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي.

- تنظيم مؤتمرات في مواضيع تتعلق بالحوار المذهبي، و التقريب بكل من البحرين 2003م[21]، و قبله مؤتمر القدس .[22]1931

و قد انتقد بوتشيش، عجز هذه المحاولات عن الوصول للمسلم العادي؛ و تغيير وعيه، اتجاه المذاهب الأخرى. كما اعتبر أن هذه المحاولات مفيدة و لكنها مازالت قاصرة عن تحريك المياه الراكدة، في مسار التأسيس لحوار مذهبي حقيقي، يكون مؤداه التقريب المنشود بين المذاهب[23]

3- حوارات بالمراسلة:

و تتم عن طريق تبادل الرسائل بين علماء و متخصصين من

(21) راجع: بوتشيش، ابراهيم القادري، خطاب التقريب بين المذاهب الدينين في المجتمعات الإسلامية المعاصرة: حدود الإنجاز و مبادئ للتطوير، مجلة المواقف للبحوث و الدراسات في المجتمع و التاريخ، عدد خاص أبريل 2008، ص 42.

(22) راجع: صعب، حسن، عن محاولا التقريب بين المذاهب الإسلامية في القرن العشرين، https://www.almayadeen.net، تشرين الأول 2016.

(23) بوتشيش، ابراهيم القادري، مرجع سابق، ص 43 و ما بعدها.

مذاهب مختلفة، و الواقع أن هذا النوع قليل الحضور، إلا أن بعض المصادر الإسلامية، حملت لنا هذا الشكل من أشكال الحوار المذهبي، إما في كتب الرسائل، و التي تدخل في فن أشمل، و هو أدب المراسلات و الترسل، و التي قسم فيها الدارسون الرسائل في التراث الإسلامي لأربعة أنواع:

- الرسائل الديوانية، و هي الرسائل ذات الطابع الرسمي و السياسي، و التي يصدرها الخلفاء و السلاطين و القادة.

- الرسائل الإخوانية و تضم مختلف الرسائل ذات الطابع الإجتماعي الشخصي.

- الرسائل الدينية، و منها الوعظية و التربوية.

- الرسائل الأدبية و الإنشائية.[24]

(24) راجع: ضيف، شوقي، الفن و مذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، مصر، ط7، ص 102.

صحيح أننا لم نحفل للأسف -في حدود علمنا- برسائل يكون مضمونها واضحا، في التأسيس لشكل من التبادل الفكري و الديني المذهبي، و لكن يمكن أن نعتبر أن النوع الثالث، أي تلك الرسائل ذات المضمون الديني، قد أفصحت عن بعض ملامح هذا الحوار، و إن لم يكن بالشكل الصريح. فرسائل الجاحظ، و «رسالة الزوابع و التوابع» لابن شهيد، و «رسالة الغفران» لأبي العلاء المعري، و «الرسالة القشيرية» للإمام أبي القاسم القشيري، و «رسائل ابن حزم الأندلسي»، و « مجموع رسائل» ابن عابدين، و «مجموع الرسائل و المسائل « لابن تيمية الحراني و غيرها كثير، ساهمت و لو بشكل غير مباشر في حركة التبادل الفكري، حوارا ، و جدالا، و سجالا، كذلك بين المذاهب و المدارس الإسلامية المختلفة.

4- حوارات في وسائط التواصل الحديثة:

من بين أهم تأثيرات الثورة الرقمية، و التواصلية الحديثة، إدخال المعرفة، و منها الدينية، في سياق الزخم التواصلي الكبير، و الثورة الرقمية الهائلة التي نعيشها.

فبعدما كانت وسائل الإعلام التقليدية، تقوم بدور إيصال الآراء المختلفة، للتيارات المذهبية و الفكرية الإسلامية. أضحت هذه

العملية تتم الآن، في القنوات الجديدة للإتصال. مما زاد من حجم التعاطي الجماهيري مع هذه الموضوعات. و يمكن القول إنها انتقلت و لو جزئيا من استئثار النخبة، إلى اهتمام الناس عامة.

و نؤكد هنا على أن المضمون التبادلي/التفاعلي لهذه المنصات، و أثره في إغناء الحوار المذهبي الإسلامي، ما زال ضعيفا، خاصة في ظل طغيان التعصب، و الشعبوية المذهبية، و كذلك الإمتناع – غيرالمبرر- عن قبول الرأي الآخر. و بالرغم من ذلك فقد قدم هذا الأسلوب نفسه، و بقوة، خاصة في أوساط الشباب، مستفيدا من سهولة العملية التواصلية، و من غياب الضوابط العلمية/الأكاديمية، لدى النخب، و التي قد تكون عوائق إضافية.

**رابعا: بعض من آثار الحوار المذهبي في تحقيق التعايش السلمي:**

أظهرنا في المحاور الأولى من الدراسة، إضافة للمعنى الذي يمكن أن نتمثل به الحوار بين المذاهب الإسلامية، المبادئ التي نرى أنها أسس في بنائه، و بعض من الشروط التي تدعمه و تقوي مقصده التواصلي، إضافة للطرق و القنوات التي يتخذها.

لنتصدى الآن لمحاولة استكشاف إمكانية فاعلية هذا الحوار المذهبي الإسلامي، و الذي وصفناه سابقا « بالمنشود»، في تحقيق غاية كبرى و هي التعايش السلمي. غير أنه و من باب التدرج المنهجي، في عملية الإستكشاف هذه، وجب أن نحدد المقصود من التعايش السلمي هذا.

1- عن معنى التعايش السلمي:

أ- التعايش لغة:

يأتي العيش في لسان العرب، بمعنى: «العيش: الحياة...و عايشه بمعنى عاش معه كقوله عاشره»[25]، و صاحب المعجم الوسيط يعرف العيش و التعايش، بأنه: «العيش، فقال: و عاشوا في الألفة و المودة، و عايشه، تعني: عاش معه»[26].

فالتعايش انطلاقا مما سبق، من تعاريف لغوية، و غيرها كثير، ينتهي معناه إلى العيش مع الآخر بألفة و مودة.

(25) راجع: ابن منظور، مرجع سابق، مادة عيش، م4، ص 3190-3191.

(26) إبـراهـيـم، أنـس، دلالـة الألفاظ، مكتبة الأنجلو مصرية، الـقـاهـرة، ط2، ج2، 1972، ص639-640.

ب- التعايش اصطلاحا:

يمكن اعتبار مصطلح التعايش (coexistence)، جامعا لمعان متراتبة، فيها ما يخص:

- البعد السياسي و الأيديولوجي: و الذي يظهر فيه بمعنى، منع الصراع و الحد منه.

- البعد الإقتصادي: و الذي يهدف فيه التعايش لتحقيق النمو، بإنجاح عناصر العملية الإنتاجية، اتباعا للحاجات المتنوعة.

- البعد الحضاري، و الثقافي: و الذي يصير فيه التعايش قاعدة لا محيد عنها، لعيش الإنسانية في جو الإخاء و التعاون.

فالتعايش يتحقق بوجود «الرغبة المتبادلة بين المختلفين دينيا أو مذهبيا أو عرقيا أو حتى سياسيا في العيش المشترك»[27]، و بالتالي فإن الإختلافات رغم وجودها، هي دوافع أكبر للألفة و المودة.

و لا يتم هذا التعايش السلمي سوى بديمومة «التركيز على دائرة القيم المشتركة و المصالح العليا بما يضمن تحقيق الأمن و السلم و الإستقرار في كل جوانب الحياة»[28]، و هو تلك الرغبة الواضحة و الدؤوبة لأصحابها في بذل الجهد، و «العمل على أن يسود الأمن و السلام في العالم»[29].

**فالتعايش يتحقق بوجود «الرغبة المتبادلة بين المختلفين دينيا أو مذهبيا أو عرقيا أو حتى سياسيا في العيش المشترك**

و لما كان تحقيق هذا التعايش السلمي، ينبني ضرورة، على مد جسور اللقاء الفكري، و الديني، و المذهبي، بين مكونات و عناصر الفسيفساء المجتمعية، نتساءل حول فاعلية هذا الحوار بين المذاهب الإسلامية في تحقيق التقارب و التعايش السلمي؟

2- بعض تجليات فاعلية الحوار المذهبي الإسلامي، في تحقيق التعايش السلمي:

مما لا شك فيه أن التعايش و الأخوة الإنسانية، مقصد سام، أولاه الفكر الإنساني، كما الأديان، و منها الإسلام، الأهمية اللازمة، باعتباره تجسيدا لمعانيه في الإستخلاف النافع و الصالح، و تحقيقا

(27) الكيالي، عبد الوهاب، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط3، ج1، 1986م، ص766.

(28) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(29) بسام، داوود، الحوار الإسلامي المسيحي، دار قتيبة للنشر، 1996، ص 262.

لغايات الأخوة الإيمانية.

و قد منع هذا الإنغلاق المذهبي، المسلمين من بلوغ هذا التعايش، لفترات طويلة من تاريخهم، بل ووجدناهم يتقاتلون و يتناحرون، نصرة للمذهب و الإمام، لما ترسخ من « الغلو في الدين الذي أدى إلى انعدام الإستيعاب العام للمعاني و القواعد الشرعية بالشكل المطلوب»[30].

و قد نبه بوتشيش، إلى الأثر السلبي لغياب الحوار المذهبي، على المجتمعات المسلمة، و فاتورته المكلفة، « فالتقارير تكشف أن النزاعات و الخلافات الداخلية في العالم الإسلامي تستنزف قدراته أكثر من الخلافات الخارجية»، بحيث « عدد القتلى في صراعاتنا الداخلية و صل إلى 2.5 مليون قتيل».[31]

أما التكلفة الإقتصادية فثقيلة جدا، و تفسر جزءا كبيرا من التخلف الذي تعيشه أغلب بلدان العالم الإسلامي، فقد بلغ حجم الخسائر الإقتصادية في «الصراعات الداخلية وحدها 1.2 ترليون دولار»[32]، و هو ما يبين مبلغ خطورة الأمر. و التي تزيد حدة في ظل «حُمى» السباق نحو التسلح، و خاصة في المنطقة العربية، و الصراع مع المكون الإيراني، و الصراعات العربية-العربية كذلك و التي كلفت أزيد من 2000 مليار دولار، أي ما يعادل 5.6% من الناتج المحلي الأجمالي لهذه البلدان بين 1999 و 2018.[33]

و قد اتخذت تمظهرات فاعلية الحوار المذهبي في السعي لتحقيق التعايش السلمي، بعض المسارات نذكر من بينها:

- المسار الأكاديمي المؤسساتي: عبر الندوات و المؤتمرات التي، تنظمها بعض المؤسسات الراعية للحوار و التقريب المذهبي، مثل: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، و التي عقدت مؤتمرات عرفت، و ناقشت قضايا مرتبطة بالحوار المذهبي، و خاصة السني-الشيعي، و قد وصل عددها ل36 مؤتمرا، آخرها في أكتوبر 2022م، بطهران. و نذكر كذلك منظمة المؤتمر الإسلامي، و اشتغالها الحثيث من أجل التجميع، بين مكونات الجسم الإسلامي، و من

(30) عيساوي الطيب، و مبني نور الدين، البعد القيمي للإعلام في مواجهة التطرف الديني في الدول الإسلامية: إشكالية الصراع الأيديولوجي و حتمية التعايش الديني، الأكاديمية للبحوث في العلوم الإجتماعية، م4، ع1، 2022، ص89.

(31) بوتشيش، مرجع سابق، ص 40.

(32) بوتشيش، مرجع سابق، ص 41.

(33) راجع: مقال: ما هي الدول الأكثر انفاقا على التسليح في الشرق الأوسط؟ aljazeera.net/midan.

أهم مجالات اشتغالها، الجانب المتعلق بالدعوة و ضرورة تأطيرها حتى تبلغ مقصدها التجميعي هذا. قد عقدت جنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك في مجال الدعوة، عددا من الإجتماعات، بلغ دورته السابعة عشر، و لعل من أهم ما جاء في توصياتها: «التأكيد على أهمية تدريب الدعاة و العاملين في الحقل التربوي بما يؤهلهم للقيام بعمل دعوي يعكس حقيقة الإسلام في انفتاحه و وسطيته و يعزز دعوته للحوار و التعاون في كل ما من شأنه أن يحقق الخير و الأمن و السلام للمجتمع .»[34]

(34) راجع: التقرير الختامي و التوصيات الصادرة عن الدورة السابعة عشرة للجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك في مجال الدعوة، ساوباولو، البرازيل، أمريكا اللاتينية، 17- 19 جمادى الثانية 1431هـ، 31 مايو إلى 2 يونيو 2010م، ص 5.

المسار الدستوري: إن الإنتقال للدولة الحديثة في المجتمعات الغربية، رافقه التأصيل لتفاصيل الهيكلة الإجتماعية الجديدة، التي رافقته. و قد شكل الدستور خارطة الطريق، التي تضمنت هذه المعطيات بأكملها، و من أهمها التحول نحو معنى المواطنة، باعتبارها الشكل الجديد، و الماهية، التي يجب أن يتخذهما حضور الفرد/المواطن في الدولة الحديثة. و قد انتقل الأمر إلى البيئة الإسلامية – بعد معارضة شديدة – خاصة بعد صدمة الإستعمار، إلا أن التحول القسري بداية، أنتج نوعا من التشويه لمعنى المواطنة، و الذي رأى فيه الكثير نقيضا للإنتماء الديني/المذهبي، و محاولة افتعال شرخ في الجسم الإسلامي. إلا أن السنوات الأخيرة و ما رافقها من تغيرات اقتصادية كبرى، و كذلك قيمية، جعل من المواطنة، تصير في مقدمة الحلول النافعة لرأب الصدوع المجتمعية الإسلامية، و خاصة المذهبي منها، باعتبار المواطنة هي اعلان انتماء للوطن أولا و أخيرا.

3- في الضرورة التاريخية للمواطنة:

كما أشرت لذلك سالفا، عندما تطرقت للمسار الدستوري كشكل أساس، من الأشكال التي اتخذها الحوار المذهبي، و التي كانت نتيجة حتمية لصدمة الحداثة الغربية. لابد من الإشارة و بوضوح لأهمية و ضرورة، بل و حتمية، التحول لمعطيات المواطنة الكاملة، بعيدا عن التصنيفات الدينية، المذهبية، الإثنية و غيرها.

و لا شك أن اتخاذ حضور الفرد المسلم، في الإجتماع العربي، و

الإسلامي، شكل المواطنة سيكون له بالغ الأثر في الخروج بوعيه، من شقاء التبعية المذهبية، او الإثنية، باعتبار المواطنة، اقرارا تاما لمنظومة الحقوق، و ابتعادا عن ممارسة أي نوع من الوصاية.

إن المواطنة، وهي الخطوة الطارئة، والمستعجلة، المجتمعات الإسلامية، ضمان لحق الوجود الإنساني، بعيدا عن المحدد الديني، و كذلك ضمان، لحق الوجود الهوياتي للدين، بعيدا عن ساحة الشأن العام.

**خاتمة:**

حاولنا في هذه الدراسة، الجواب على سؤال اسشكالي، حول إمكانية وجود تأثير للحوار المذهبي الإسلامي، على التعايش الديني. و بعد التطرق لإشكالات مفاهيمية، تصدينا خلالها لمفهومي الحوار المذهبي الإسلامي، من جهة، و لمفهوم التعايش السلمي من جهة أخرى. خضنا في المبادئ التي يظهر لنا، أنها مؤسسة للعملية الحوارية، أو الحوارية كأعلى مراتب الحوار، كما أسماها طه عبد الرحمن. لنلامس بعد ذلك، ما اعتبرناه شروطا للحوار المنشود، بين المذاهب و التي تتناغم مع مقاصد الدين الإسلامي. ثم حاولنا طرح القنوات التي، يمكن أن يتم بها هذا الحوار، أو التي يسمح بها المجال التواصلي في البيئة الإسلامية.

لنختم دراستنا، بطرح بعض مما يظهر لنا أنها إرهاصات، و تمظهرات، وجود هذه الحالة الحوارية المذهبية، و أثرها الواقعي. كما نبهنا لكون غياب، أو التغييب المُتَعَمَد، لحوار المذاهب، و الدفع نحو التقريب بينها، يسهم و بشكل خطير في تأزيم الواقع الإسلامي، دينيا، سياسيا، اقتصاديا.

لنقول في الأخير، أن الجواب على سؤال دراستنا الإشكالي، هو الإثبات، أي أن طرحنا، الذي حاولنا تقديمه، و التدليل عليه، هو: نعم، للحوار المذهبي أثر في تحقيق التعايش، باعتبار أن المشاكل الطائفية و التعصب ، و التطرف المذهبي، شكلت متاريس لكل إمكانية ألفة و بحث عن المشترك. و لما كان الأمر كذلك، عُدت

العملية التواصلية/الحوارية الإسلامية-الإسلامية، مدخلا لا محيذ عنه، للخروج من عنق الزجاجة، و التأسيس للنهضة المبتغاة، نهضة الحقوق و المواطنة الكاملة للجميع.

**لائحة المصادر و المراجع:**

**1- المصادر و المراجع:**

- القرءان الكريم.

- **ابن خلدون،** عبد الرحمن، **المقدمة،** دار الفكر للطباعة و النشر، بيرو ت، لبنان، 1428هـ، 2007 م.

- **ابن منظور،** محمد بن مكرم، **لسان العرب،** تحقيق: عبد الله علي الكبير- محمد أحمد حسب الله- هاشم محمد الشاذلي،دار المعارف، القاهرة، طبعة جديدة محققة و مشكولة شكلا كاملا و مذيلة بفهارس مفصلة.

- **الحطاب،** محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربي، **مواهب الجليل لشرح مختصر خليل،** ضبط و تخريج: زكريا عميرات، بيروت: دار الفكر، ط 3، 1992.

- **السيوطي،** جلال الدين، **الأشباه و النظائر في النحو،** دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- **أمين،** أحمد:

**فجر الإسلام،** مكتبة النهضة المصرية.

**ضحى الإسلام،** دار الكتاب العربي، بيروت، لبان، ط1، 1425هـ، 2005م.

- **المغامسي،** خالد، **الحوار: آدابه و تطبيقاته في التربية الإسلامية،** السعودية: مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، 2007.

- **الحسن،** يوسف، **الحوار الإسلامي المسيحي: الفرص و التحديات،** أبوظبي: المجتمع الثقافي، ط:1.

- **طه،** عبد الرحمن، **في أصول الحوار و تجديد علم الكلام،** المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000.

- **العلوي،** هادي، **الإغتيال السياسي في الإسلام،** الأعمال الكاملة،

دمشق: دار المدى، ط 5: 2008.

- **السعيد**، خالد، **أشهر الإغتيالات في الإسلام: من زمن الصحابة إلى نهاية العصر العباسي**، بيروت: دار الفارابي، ط1: 2012.

- **رضا**، محمد رشيد، **تفسير المنار**، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990.

- **الشنقيطي**، محمد الأمين، **آداب البحث و المناظرة**، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مكتبة العلم جدة.

- **قط**، مصطفى البشير، **مجالس الأدب في قصور الخلفاء العباسيين**، دتر اليازوري العلمية للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، 2009.

- **أبو الخشب**، علي ابراهيم، **تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول**، المصرية العامة للكتاب.

- **ضيف**، شوقي، **الفن و مذاهبه في النثر العربي**، دار المعارف، مصر، ط7.

- **إبراهيم**، أنس، **دلالة الألفاظ**، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط2، ج2، 1972.

- **الكيالي**، عبد الوهاب، **موسوعة السياسة**، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط3، ج1، 1986م.

- **بسام**، داوود، **الحوار الإسلامي المسيحي**، دار قتيبة للنشر، 1996.

**2- الدراسات و البحوث:**

- **بوتشيش**، ابراهيم القادري، **خطاب التقريب بين المذاهب الدينين في المجتمعات الإسلامية المعاصرة: حدود الإنجاز و مبادئ للتطوير**، مجلة المواقف للبحوث و الدراسات في المجتمع و التاريخ، عدد خاص أبريل 2008.

- **عيساوي** الطيب، و **مبني** نور الدين، **البعد القيمي للإعلام في مواجهة التطرف الديني في الـدول الإسلامية: إشكالية الصراع الأيديولوجي و حتمية التعايش الديني**، الأكاديمية للبحوث في

العلوم الإجتماعية، م4، ع1، 2022.

**3- المقالات الإلكترونية:**

- **صعب**، حسن، **عن محاولا التقريب بين المذاهب الإسلامية في القرن العشرين**، net.almayadeen.www//:https، تشرين الأول 2016.

- ما هي الدول الأكثر انفاقا على التسليح في الشرق الأوسط؟ : https://www.aljazeera.net.

**4- تقارير:**

- التقرير الختامي و التوصيات الصادرة عن الدورة السابعة عشرة للجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك في مجال الدعوة، ساوباولو، البرازيل، أمريكا اللاتينية، 17- 19 جمادى الثانية 1431هـ، 31 مايو إلى 2 يونيو 2010م.